حكايات ألف ليلة



حكاية ابنِ آدمْ

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

يُحكَى أنَّ طاوُوساً كَانَ يعيشُ مَعَ زوجَتِه قَرِيباً منَ البحرِ ، وكَانَ ذلكَ المكانُ كثيرَ الوحوشِ والسِّباعِ ، فَخافَ الطاووس على نفسِه وزوجته من الموتِ والضياعِ ، ولذلك بحثا عن مكانٍ آخر يعيشان فيه ، حتى وجدا جزيرةً آمنةً كثيرة الأشجارِ والثمارِ ، تجرى فيها القنواتُ والأنهارُ ، فانتقلا إليها وقرَّرا العيش فيها ..

وما إن استقرَّ الطاووسُ وزوجتُه فى المكانِ الجديد حتى أقبلَتْ بطَّة ، وحطَّت على تلكَ الشجرة الَّتى يقفُ عليها الطاووسُ وزوجتُه ، وهى ترتجفُ من شدَّةِ الفزعِ ، فسألَها الطاووس عن سببِ فزعِها ، فقالت البطَّةُ :

- إنَّنى خائفةٌ من ابنِ آدمَ ، فالحذرَ ثُمَّ الحذرَ من بنى آدم ..

فطَمأَنها الطاووسُ قائلا :

- أنتِ الآنَ في جزيرةٍ آمنة لايصلُ إليها بنى آدمَ ، فأبشرِى بذلكَ وعيشى هنا ..

وقالَت زوجةُ الطَّاووسِ مستفسرةً :

- ما الَّذى يجعلُكِ خائفةً هكذا من بنى آدمَ . ؟ !

فقالتِ البطَّةُ بعدَ أنْ هدأَ روعُها ، وزالَ عنها خوفُها :

- لقدْ كنتُ أعيشُ طُولَ عمْرى فى مثلِ هذهِ الجزيرةِ آمنةً مطْمئنَّةً لا أخافُ شيئاً ، حتَّى نمتُ ذاتَ ليْلةٍ ، فرأيتُ ابنَ آدمَ فى منامى وهو يخاطبُنى وأُخاطبُه ، وسمعتُ قائلاً يقولُ لى :



أيتها البطة ، إحذري من ابن آدم
كل الحذر ، ولا تغتري بكلامه ..
احذري من مكره وخداعه ، حتى لا يوقعك
في شباكه ، واعلمي أنه يحتال على الحيتان ، فيخرجها من
البحار ، ويصيد الطير بحيله ، ويقع الفيل على ضخامته في
فخه ، ويحتال على صيد السباع والوحوش ، فلا يسلم أحد
من شره ، ولا ينجو منه طير ولا وحش .. لقد بلغتك ما سمعته
عن ابن آدم ، حتى لا يفاجئك بحيلته ويصيدك بشبكته ..

وَتوقَّفت الْبَطَّةُ قليلاً ، ثُمَّ واصلت حديثها قائلةً :

ـ ولَم يأتِ على آخر النَّهار ، حتَّى ضعفت قوَّتى ، وشعرت بالجوع ، فخرجت أبحث عن شىء آكله ، وأنا خائفةٌ حتَّى وصلت إلى جبل فيه مغارة ، ورأيت على باب الْمغارة شبل أسد ، فلمَّا رآنى حيَّانى وسألنى عن اسمى وجنسى ، فقلت له : اسمى بطَّة ، وأنا من جنس الطُّيور . .

ثُمَّ سألته عن سبب قعوده فى هذا المكان الى هذا الوقت ، فقال لى : إنَّ والدى الأسد منذ أيَّام وهو يحذرنى من ابن آدم ، ولقد رأيت فى منامى هذه اللَّيلة صورة ابن آدم وهويخاطبنى وأخاطبه . .

وحكى الشبل للبطَّة ماراَه فى منامه ، وكان شبيهًا لما رأته هى أيضًا فى منامها ، فقالت له البطَّة :

ـ أيُّها الأسد الشُّجاع ، إنَّنى خائفةٌ من ابن آدم خوفًا شديدًا ، وقد رأيت ما رأيته ، والآن ازددت خوفًا على خوفى من خوفك من ابن آدم ، مع أنك سلطان الوحوش ، وقد لجأت إليك لتقتل ابن آدم ، حتَّى تريحنى من شرِّه ومكره . .

وما زالت الْبطَّةُ تحرض الأسد على قتل ابن آدم ، حتَّى اقتنع بالْفكْرة ، وقال لها :



ـ قُومِي نَبْحَثْ عَنْه ..
وَسَارَ الأَسَدُ بَاحِثًا عَنِ ابنِ آدمَ وخَلْفُه البَطَّةُ،
فَقَابلاَ حمَارًا يجْرِى مَذْعُورًا ، فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ :
ـ مَن أَنْتَ ، وَلِمَاذَا تجرِى هَكَذا مذْعُورًا ؟!
فَقَالَ الحمَارُ :
ـ أَنَا الحْمَارُ ، وأَجْرِى هَرَبًا مِن ابْنِ آدَمَ ..
فَقَالَ الأَسَدُ :
هَلْ تَخافُ أَنْ يقْتُلَكَ ابْنُ آدَمَ ؟!

فَقَالَ الحِمَارُ :

ـ لاَ أَيُّهَا الأَسَدُ ، إِنَّمَا خَوفِى أَنْ يَعْمَلَ لِى ابْنُ آدَمَ حِيلَةً وَيَرْكَبَنِى . .

فَتَعَجَّبَ الأَسَدُ وَقَالَ :

ـ وَكَيْفَ يَحْتَالُ ابْنُ آدَمَ عَلَى رُكُوبِكَ . ؟ !

وَانْطَلَقَ الحِمَارُ يَشْرَحُ لَهُ قَائِلاً :

ـ إِنَّ ابْنَ آدَمَ عِنْدَهُ شَىْءٌ يُسَمِّيهِ البَرْدَعَةَ يَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِى وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ الحِزَامَ يَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِى ، وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ اللِّجَامَ يَضَعُهُ فِى فَمِى ، وَشَىْءٌ يُسَمِّيهِ المِنْخَاسَ يَنْخَسُنِى بِهِ ، وَبِذَلِكَ يَحْتَالُ عَلَىَّ وَيَرْكَبُنِى ، وَيُكَلِّفُنِى بِحَمْلِ مَالاَ أُطِيقُ مِنَ الأَحْمَالِ ، فَإِذَا تَعَثَّرْتُ شَتَمَنِى ، وَإِذَا تَبَاطَأْتُ ضَرَبَنِى ، وَإِذَا نَهَقْتُ لَعَنَنِى . . وَهَكَذَا أَقْضِى عُمْرِى فِى العَمَلِ الشَّاقِّ مَعَ القَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ ، حَتَّى أَهْرَمَ وَأَمُوتَ ، فَيَرْمُونَ جُثَّتِى فَوقَ التِّلاَلِ لِتَأْكُلَهَا السِّبَاعُ وَالكِلاَبُ ، فَهَلْ هُنَاكَ مُصِيبَةٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ تَلْحَقَ بِى مِنَ ابْنِ آدَمَ ؟ !

فَلَمَّا سَمِعَتْ البَطَّةُ كَلاَمَ الحِمَارِ اقْشَعَرَّ بَدَنُهَا وَزَادَ خَوفُهَا مِنَ ابْنِ آدَمَ ، وَقَالَتْ لِلأَسَدِ :



ـ الحمارُ معذورٌ ، وقَدْ زادَني كَلامُه رُعبًا علَى رُعْبٍ مِنِ ابنِ آدمَ ..

ولَمْ تُكْمِلُ البطَّة كلامَها ، حتّى ظهرَ عنْ بعْدٍ جوادٌ يجرِي مَذْعوراً ، فاستوقفه الأسَدُ قائلاً :

ـ ما اسْمُك أيُّها الوحْشُ المهيبُ ، ولِماذَا تجْرِي هكذَا مَذْعوراً .؟!

فَقالَ الجَوادُ :

ـ أَنَا جَوادٌ يا سَيِّدَ الْوُحُوشِ ، وسَبَبُ جَرْيِى هُوَ هُرُوبى مِنِ ابنِ آدمَ . .

فَتعجَّبَ الأَسَدُ من كَلامِ الجَوادِ وَقَالَ :

ـ عَيبٌ عَلَيكَ أَنْ تقولَ هَذا الكلامَ ، وأَنْتَ طَويلٌ غَليظٌ . .

كيفَ تَخَافُ من ابنِ آدمَ مع كِبَرِ جِسْمِكَ وسُرْعَةِ جَرْيِكَ ، وأَنا برغْمِ صغَرِ جسْمِى قررتُ أَنْ أُقَابِلَ ابنَ آدمَ ، فَأَبْطِش به ، وآكُلَ لَحْمَه ، حَتَى أُزِيلَ خَوفَ هذه البَطَّةِ المِسْكِينَةِ ، وأَجْعَلُها تعيشُ آمنَةً فى وَطَنِها ، لكنَّكَ رَعَتَّنى بكلامِكَ ، وجَعَلتنى أَتَراجعُ عَمَّا قررتُ أَنْ أفعَلَه به وسَكَتَ الأَسدُ قليلاً ، ثُمَّ قَالَ للجَوادِ :

ـ إِذَا كُنتَ أَنتَ مع عظَمِكَ وسُرعَتِكَ قَدْ قَهَرَكَ ابنُ آدَمَ وَلَمْ يَخَفْ من طُولِكَ وعَرْضِكَ ، معَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَه بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَه ، فَكَيفَ يكونُ الحالُ معى إِذا لَقيتُه . ؟!

فَضَحِكَ الجْوادُ وقالَ :

ـ لا يَغُرَّكَ طُولِى وعَرضِى وضَخامَتى ، لأَنَّهَا لا تُجْدى شَيئًا مَعَ ابنِ آدَمَ ومَكْرِه وحيلِه ودهائِه . . فَهُوَ يَحْتَالُ علَى



حَتَّى يَضَعَ اللجامَ فى فَمِى ، ثُمَّ يقُودنى على هواه ، ويركَبَنى كيفَ شاءَ ، فَيُحَمِّلُنى بالأَحْمَالِ ، أو يَجْعلُنى أَجُرُّ عربة ، أو أدورُ فى الطَّاحُونَةِ .

وراحَ الجوادُ يشرَحُ للأسدِ الحيلَ التى يحتالُ بها ابنُ آدمَ ، حَتَّى يسخِّره ويَسْتَغلَّه أسوأَ استغلالٍ فى أشغاله ، فَلَمَّا سمِعَ الأَسَدُ كَلامَ الجوادِ زادَ غمُّه وحزنُه وقالَ :

ـ متى فارَقْتَ ابنَ آدم . ؟

فَقالَ الـجوادُ وهُو يَتلفَّتُ خَلْفَه في خَوْفٍ :

ـ فارَقْتُه في منْتصفِ النَّهارِ ، وهُو يجْرِي خَلْفِي ومُصِرٌّ على الإمْساكِ بي . .

ولَمْ يُتِمَّ الجَوادُ كَلامَه ، حتَّى هاجَ الغُبارُ وثَارَ ، كأنَّه عاصفةٌ هوجاء ، وظَهرَ جملٌ يجْرِي مرْعوبًا ، وهُو يبعْبِعُ ويُبرْطِعُ ، فلمَّا رآه الأسدُ استعدَّ لقتاله ظَنًّا منْه أنَّه ابنُ آدمَ ، الذي يتحدَّثُونَ عَنْ قوَّتِه وجَبرُوتِه ، ومَكْرِه ودهائِه ، فقالت له البطَّةُ :

ـ مَهْلاً أيُّها الأسَدُ ، فَهذا ليسَ ابنَ آدَمَ ، وإنَّما هو جَمَلٌ ، ويَبْدُو أنَّه هارِبٌ من ابنِ آدمَ ، لأنَّ الخوفَ يَكَادُ أن يقتُلَهُ . .

فَلَمَّا سَمِعَ الجَمَلُ هَذا الكَلامَ تقدَّمَ إلى الأَسَدِ وسَلَّمَ علَيهِ ، فَقَالَ له الأسدُ :

ـ ما سَبَبُ قُدُومِكَ إلى هَذا المكانِ أيُّها الجملُ . ؟ !

فَقَالَ الجملُ :

ـ جِئْتُ هَارِبًا من ابنِ آدَمَ . .

فتعجَّبَ الأسَدُ وقَالَ :

ـ كَيفَ تخَافُ من ابنِ آدمَ ، وأنْتَ ضَخْمٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ ، ولو رَفَسْتَه رَفْسَةً برِجْلِكَ لقَتَلْتَه . ؟ !



فقالَ الجمل :

ـ لا تتعجَبْ أيُّها الأسدُ واعْلَمْ أنَّ ابنَ آدمَ ماكرٌ محتالٌ لهُ الكثيرُ منَ الدَّواهي التي لا تُطاقُ ، وأبسطُها أنَّه يضعُ خيطًا في أنفي ويسمِّيه حزامًا ، ويجعلُ في رقبتي حبلاً يسمِّيه مقودًا ثُمَّ يسلِّمني لأصغرِ أبنائه ، فيجرُّني الولدُ الصغيرُ بالخيطِ مع ضخامتي ، ويحمِّلونني بأثقلِ الأحمالِ ، ويركبونني ويسافرونَ بي الأسفارَ الطِّوالَ . .

وراحَ الجملُ المسكينُ يقصُّ على الأسدِ ما يلاقيه من تعبٍ ومشقَّةٍ وأهوالٍ على يدِ ابنِ آدم ، فزادَ خوفُ البطَّةِ والحمارِ

والجوادِ ، وقالَ الأَسَدُ :

-فِى أى وقت فَارقْتَ ابن آدمَ . ؟

فَقَالَ الجَملُ وهُو يتلفّتُ خلْفَه من الخَوْف :

-فَارَقتُه وقت الغُروب ، وأَظنُّه قادمًا خلْفى مصرًا على الإمْساك بى ، فَدعْنى أَهْربُ قَبْلَ أن يَلْحَق بِى . .

فَقَالَ الأَسَدُ :

-تَمَهَّل قَليلاً أيُّها الجَمَلُ ، حتَّى تَرانِى وأَنَا أَفْتَرِسُ ابنَ آدمَ ، وأُهَشِّمُ عظَامَه . .

فَقالَ الجملُ نَاصحًا :

-أيُّها الأَسَدُ المَهيبُ أَنَا خَائفٌ عَلَيك مِنهُ ، لأَنَّهُ مَاكِرٌ مُخَادِعٌ ولَنْ تَقْدرَ على حِيله ودَهائه . .

فَقَالَ الأَسَدُ مُستَهِينًا :

-سَوفَ تَرى بِعَينيك . .

وبَيْنما هُما مشغُولان بهذا الحديث ظَهر رجلٌ قَصيرُ القَامَة يَحملُ فِي يده مقْطفًا فيه (عِدَّةُ) نجَّارٍ ، وعَلى كتفه أَلْواحًا خَشَبيَّةً ، ومعه عدة أطْفَال صِغَارٍ يحْملُ كُلٌّ منهم لَوْحًا خَشَبيًا ، فَلَمَّا رأته البَطَّةُ زادتْ خوفًا علَى خوفِها ، واعْتَرضَ الأسدُ طَرِيقَهُ ، فَضحكَ النَّجَّارُ فِي وجْهِه وقالَ :



ـ أَيُّها المَلِكُ الجَلِيلُ و صَاحِبُ البَاعِ الطَّوِيلِ ، أَسْعَدَ اللَّه مَسَاءَكَ ومَسْعَاكَ ، وزَادَ فِي شَجَاعَتِكَ وقُوَّاكَ ، أَجِرْنِي مِمَّا دَهَانِي ، وبِشَرِّه رَمَانِي ، لأَنِّي مَا وجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ . .

ثُمَّ وقَفَ النَّجَّارُ بين يَدَيْ الأَسَدِ ، فَبَكَى واشْتَكَى ، فَلَمَّا سَمِعَ الأَسَدُ بُكَاءَه رَقَّ لِحَالِه وقَالَ لَه :

ـ لَقَدْ أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ ، فَمَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الوَحْشُ ، ومَا شَأْنُكَ ، ومَنْ هُوَ الذِي ظَلَمَكَ . ؟ !

فَقالَ لَه النَّجارُ :

ـ أنَا نَجَّارٌ ، والذى ظَلَمنى هو ابنُ آدمَ .. لقد تركْتُه قادماً خلفى ، وفِى صَبَاحِ هَذه الليلَة يَصِلُ إليك فِى هذا المكان ..

فَصَاحَ الأسدُ فِى غَضَب :

ـ لَنْ أَنْتقِلَ مِنْ هُنا حتى أُلاقيه وأَقْضِى عليه ، ولكِن إلى أين أنتَ ذَاهِبٌ بِهذا الخشبِ أيُّها النجارُ الطيب .؟!

فقالَ النجَّارُ فِى دهَاء :

ـ لَقَدْ عَلِمَ النَّمِرُ بقدومِ ابنِ آدمَ ، فأَرْسَلَ إلَىَّ لأَذْهَبَ إليه ، حَتَّى أصنعَ له بيتاً يحتمى فيه مِنْ عدوه ، وأنا ذاهبٌ لأصنع له ذلك البيتَ ..

فلمَّا سَمِعَ الأسَدُ كلامَ النجارِ أخذه الحَسَدُ من النمرِ وقالَ :

ـ اصْنَعْ لِى أنا أوّلاً بيتاً مِنْ هذه الألواحِ ، ثُمَّ اذهبْ إلِى النمرِ واصْنَعْ له ما يَشاءُ ..

فقالَ النَّجارُ :

ـ دَعْنى أذْهَبُ للنَّمرِ أوَّلاً ، فإذا فَرَغْتُ مِن بيْتِه عُدْتُ إليكَ وصَنَعتُ لَكَ البيَتَ الذى تحبُّ ..

فَاعترضَ الأَسَدُ طريقه قَائلاً فى غضب :

ـ لن أدعَكَ تمرُّ من هُنا حتّى تصْنعَ لى بيتاً ، وإلاَّ قتلْتُك ..



فقالَ النَّجارُ فى دهاء :

ـ سأَصْنعُ لكَ البيتَ الَّذى طلبتَ ياسيِّدَ الوحوشِ ..

وهكذا بَدَأَ النجارُ فى صُنعِ البيتِ الَّذى طلبَهُ الأَسدُ ، ولَيتَهُ ماطَلَبَ ..

صَنَعَ النجَّارُ صُنْدوقًا منَ الخشَبِ يسَعُ الأَسَدَ محْشورًا فيه بالقوَّةِ ، وجَعَلَ بابه مفتوحا ، ثمَّ قالَ للأَسَدِ :

ـ ادخُلْ لتُجَرِّبَ بيْتكَ الجديدَ ..

وبمُجرَّدِ أن حشرَ الأَسدُ نفسه داخلَ الصُّندوق ، أَغْلَقَ النجَّارُ البابَ عليه ،ودقَّه بالمَسَاميرِ ، فَقالَ الأَسَدُ من الدَّاخلِ :

ـ يا نجّارُ ، ما هَذا البيتُ الضيقُ ، الّذى يكَادُ يقتلُنى بداخله ؟! دَعْنى أَخْرُجْ منه ..

فَضَحكَ النّجّارُ وقَالَ ساخرًا :

ـ هيهاتَ هيهاتَ .. لاَ يَنْفعُ النَّدمُ عَلى ما فَاتَ ، ولا يُغْنى الحَذرُ من القَدَرِ ..

فقالَ الأَسَدُ متعجبًا :

ـ مَاهَذا الخطابُ الّذى تُخَاطِبُنى به يا أَخِى ؟! أَلَمْ تَكُن تَستجيرُ بى مِنذُ قَلِيل .؟!

قَالَ النّجّارُ :

ـ لقد وَقَعتَ فى القَفَصِ ولَنْ تخرُجَ منه أبدًا .. أَنْتَ الآنَ صَيدى ، وسوفَ أَسلُخُ جلدَك وآخذُ فروك ..

فَلَمّا سَمعَ الأسدُ كلامَ النجارِ علمَ أَنّه ابنُ آدمَ ، وقد أَوْقَعَ به بمكره ودهائه وحيله وخداعه ، فَنَدم ندمًا شَديدًا ، وَلَكن مَاذا ينفعُ النَّدمُ بعدَ ضَياعِ الأَجلِ .؟!

(تمت)

رقم الإيداع : ١٩١٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٠٢٣ ـ ٣٧٨ ـ ٩٧٧